وحمام الزاجل اكبر من الحمام الاعتيادي يبلغ طولهُ ٣٧ سنتيمترًا ووزنهُ ليبرة وربع وعضلات صدرهِ قويَّة جدًّا وهو سريع الطيران ومنقارهُ مغشًّى بغشاء جلدي مثبَّب عند الى ما فوق الرأس ومتصل بطرفي الفم . وكلما كان هذا الغشاء كبيرًا وكان للطير حلقة متسعة حول عينيهِ لا ريش عليها زاد حسنهُ وارتفت قيمتهُ . واستخدامهُ ضروريٌّ للحضارات ونقل الاسرار عند الخشية من الاغيار والاشرار

واذا شاع استعمال التلغراف بلا سلك فيستغنى عن الزاجل كما انهُ قلَّ استخدامهُ لما ظهرت الاسلاك البرقيَّة وهو لا يزال مع هذا يُستعمل في بعض اقطار الغرب لنقل الاخبار المالية الى اسواقها وتبليغ الاخبار للصحف الخطيرة

محمد كرد علي

ارباب المال والاعمال

المستر لفر صاحب صابون صَنْلَيْت

لما اخترنا سيرة هذا الرجل لنضمها الى سير الرجال الذين سميناهم بارباب المال والاعمال خطر لنا ان كثيرين من القرَّاء لا يعدون صانع الصابون اهلاً لان يذكر اسمهُ مع اسماء الرجال العظام الذين اتَّسع بهم ثروة بلادهم وتزيد قوَّتها لانهم لم يروا بين صانعي الصابون رجلاً بلغت ثروتهُ مبلغًا عظيمًا لكن ما يتيسَّر في البلدان الكبيرة الواسعة الثروة لا يتيسَّر في الصغيرة الفقيرة . ولو كانت سيرة هذا الرجل مقتصرة على نجاحهِ في صناعتهِ وتجارتهِ ما عنينا بنشرها ولا وجدت لها محلاً في المقتطف ولكننا رأينا فيها مثالاً لما يجب ان يجري عليهِ ارباب الاعمال في معاملة العمال اذا ارادوا ان يشيعوا الى الثروة حسن السمعة والاحدوثة فنشرناها عسى ان يكون في نشرها عبرة للذين يئنُّ عمالهم من شدَّة وطأتهم

المترجَم المستر وليم رسكث لفر ولد سنة ١٨٥١ وكان ابوهُ تاجرًا ببيع المأكولات فشاركهُ في تجارتهِ الى ان صار عمرهُ ثلاثين سنة ثم استقلَّ وفتح محلاً لبيع البقالة وعكف عليهِ بهمة ونشاط فوسَّع نطاقهُ ووفَّر ارباحهُ وباعهُ بعد خمس سنوات بستين الف جنيه عازمًا ان ينقطع لعمل آخر اوفر ربحًا من البقالة وهو عمل الصابون فاشترى مصبنة صغيرة وحاول ان يصنع صابونًا جديدًا يسميهِ اسمًا يسهل دورانهُ على الالسنة ويكون لهُ وقع حسن في الآذان فصنع هذا الصابون بعد تجارب كثيرة ونفقات كبيرة وكتب بضعة اسماء جعل ينظر فيها يومًا بعد آخر الى ان اختار منها اسم صَنْلَيْت (اي نور الشمس) وحينئذٍ اقبل بكليتهِ على ما حسبهُ

السبيل الوحيد لنجاحه وهو الاعلان عن هذا الصابون في الجرائد والطرق والاماكن العمومية لكي يصير اسمهُ مألوفاً عند الجميع ولم يفرّ بنفقة على الاعلانات حتى انك لا تنتج جريدة انكليزية ولا مجلة الاَّ وتجد فيها اعلاناً او اكثر عن هذا الصابون بل تجد الاعلانات عنهُ في شوارع المدن الانكليزية وضواحيها والطرق التي حولها بل في الحقول الزراعية والمزارع وكل مكان يتردَّد اليهِ الناس ولعلَّهُ انفق نصف دخلهِ على الاعلانات

فاتسعت اعمالهُ حالاً وضاقت المصبنة التي اشتراها عن القيام بها فاختار مكاناً آخر بنى فيهِ مصبنة كبيرة جدًّا . وليس عمل الصابون سرًّا غامضاً ولا هو من الصنائع المجهولة التي يستطيع صاحبها ان يربح منها ربحاً غير مألوف ولكن المستر لفر رأى ابواب الربح واسعة اذا تحكم في جلب المواد التي يصنع الصابون منها وفي الاساليب التي يستفاد بها مما يطرح من المصابن عادةً وفي تقليل النفقات اللازمة لايصال الصابون الى مستعمليهِ فانشأ المعامل في اميركا واخذ بزر القطن من مصر ونقل النارجيل من جزائر صاموى الى معامل سدني باستراليا حيث عصر الزيت منهُ ونقاهُ واتى بهِ الى انكلترا وباع كسبهُ لفلاحي استراليا علفاً لمواشيهم وقلل نفقات العمل والنقل حتى صارت على اقلها

ولما انتشر صابونهُ في اقطار المسكونة ورأى ان صنعهُ في انكلترا وارسالهُ اليها يزيدان النفقة ويقللان الربح انشأ المصابن الكبيرة في بوستن وفيلادلفيا لبياع صابونها في الولايات المتحدة . وفي مدينة تورنتو لبياع صابونها في كندا . وفي مدينة سدني لبياع صابونها في استراليا . وفي اولتن لبياع صابونها في سويسرا . وفي منهم لبياع صابونها في المانيا . وفي بركسل لبياع صابونها في البلجيك . فزالت بذلك نفقات النقل الى هذه البلدان ومكوس الجمارك . واضاف الى هذه المصابن معامل تعمل كل ما يلزم لها ويتعلَّق بها من عمل العلب والصناديق والورق والكتب وما اشبه واوصلها بسكك الحديد العمومية بخطوط خاصَّة بها وبنى لها سفناً لنقل صابونها بحرًا

وألف شركة لهذه المصابن سنة ١٨٩٤ جعل رأس مالها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات وبلغ ربحها تلك السنة عشرة في المئة ثم زاد رأس مالها سنة ١٩٠٠ فجعلهُ ثلاثة ملايين من الجنيهات وبلغ ربحها حينئذٍ خمسة عشر في المئة . وعدد العمال في القسم الذي في بلاد الانكليز وحدها ٣٢٠٠ عامل

ونجاح المرء في عملهِ دليل على مقدرتهِ ولكنهُ قد لا يكون دليلاً على استقامتهِ وكرم اخلاقهِ . فكم من رجل اثرى من دماء غيرهِ وكم من مثرٍ لا يجود بدرهم على ابناء نوعهِ امَّا المترجَم فلمَّا رأى ثروتهُ تزداد يوماً فيوماً وان دخلهُ في السنة بلغ خمسين الف جنيه بعد ان انشأ المصابن

بسنتين او ثلاث اضطربت افكارهُ وحسب انهُ لا يستحق هذا الربح كلهُ فعزم ان يعطي العمَّال جانباً من ربحهِ ليس دراهم تزيدهم اسرافاً بل راحة من عناء الاعمال فقلل ساعات عملهم من تسع ساعات في اليوم الى ثمان وبنى لهم منازل صحيَّة انفق عليها ٣٥٠ الف جنيه لكي يتمتعوا بالصحَّة والراحة . وجعل يعطيهم اجازات كل سنة يقضونها في النزهة هم ونساؤهم واولادهم وبعث برؤسائهم الى معرض غلاسكو فاقاموا فيهِ اسبوعاً على نفقتهِ . وبعث الفاً وستمئة منهم الى معرض باريس انفق عليهم خمسة آلاف جنيه فاقتضى نقلهم اليها اربعة قطرات مخصوصة ومئتي قنطار مصري من الزاد في اثناء الطريق ومئتي مركبة ركبوا فيها في باريز

والبلد الذي بناهُ لهم استكمل فيهِ شرائط الصحة والراحة فالبيوت مبنيَّة على الاسلوب الانكليزي يحيط بكل بيت منها حديقة صغيرة والشوارع تامَّة النظافة والتنظيم والاشجار مغروسة على جانبيها وهو يعطي الجوائز للذي يعتني بحديقتهِ اكثر من غيرهِ

والمنازل مختلفة الاقدار في الصغير منها مطبخ وغرفتان للنامة ومكان للمؤونة ومكان للجلوس . وفي البلد مدرسة وكنيسة وناديٍ للمجتمعات الادبيَّة ودار للموسيقى ومكتب للبريد . والتعليم مباح للجميع حتى للكبار وعندهم جمعيات علميَّة وزراعيَّة وفوتوغرافية ومنتدى للمذاكرات والمباحثات الادبيَّة ولتمثيل بعض الروايات وساحات للالعاب الرياضيَّة على انواعها ويقال جملة ان عند اهالي هذا البلد كل ما يثقف عقولهم ويقوي ابدانهم ويزيل السآمة من نفوسهم . وقد جادت صحتهم بسبب ذلك فبلغت وفياتهم في العام الماضي عشرة في المئة فقط والمتوسط في البلاد الانكليزية عشرون في المئة او اكثر . وزادت مواليدهم زيادة بالغة جدًّا فبلغت ٥٦ في الالف

ويظهر الرجل صاحب هذه المبرات من مبراتهِ ويقال انهُ لا يسرُّ ما لم يرَ السرور شاملاً كل الذين حولهُ وهو ربعة بين الرجال قوي البنية طلق المحيَّا حازم الى الغاية القصوى يمتاز باقدامهِ على عظائم الامور وسرعة ادراكهِ لفائدة المشروعات التي تعرض عليهِ . بعيد النظر في العواقب سريع الحكم في الامور اذا اخذ في امر لم يثنهِ عنهُ شيء . يكتشف الشبَّان الذين يرجى نجاحهم ويعتمد عليهم ويكل اليهم ما يحسب انهم يفلحون فيهِ وهو مع ذلك متَّضع لا يحسب لهُ فضلاً في شيء من اعمالهِ بل يعد نفسهُ ساعياً لعمل ما يجب عليهِ . وقد طاف حول المسكونة مراراً كثيرة زار فيها معاملهُ المختلفة المنتشرة في كل الاقطار

وهو من المولعين بالبناء والفنون الجميلة على انواعها وعندهُ مجموع كبير من الصور الثمينة

المستر باركس

ان طلاَّب العلوم الطبيعية ولا سيما علم الفلك يعرفون اسم باركس من نظارتهِ العظيمة التي لا تزال اعظم ما صُنع من نوعها حتى الآن ولا اعظم منها الاَّ نظارة معرض باريس. وقد يظن بعضهم انهُ عالم من علماء الفلك او امير من الامراء يجود بالمال لتخليد الذكر ولا يخطر ببالهم انهُ عصامي من اولاد اميركا الذين اثروا بجدهم واجتهادهم ثم استخدموا ثروتهم لتخليد ذكرهم

ابتدأ هذا الرجل في العمل وهو ولد عمرهُ اثنتا عشرة سنة فانهُ كان يتردَّد على سوق تقام في مدينة فيلادلفيا يوم السبت من كل اسبوع وتباع فيها البضائع بالمزاد وكان يسرُّ بذلك ويتمنى ان يكون في عداد البائعين والشارين

وذات يوم مرَّ بهذه السوق فرأى فيها صناديق فيها نوع من الصابون كان يشتري منهُ لامهِ فذهب الى البدَّال (البقَّال) الذي كان يشتري الصابون منهُ وسألهُ كم ثمن الرطل من هذا الصابون فقال لهُ اثنا عشر سنتًا (اي غرشان ونصف) فقال وبكم تشتريهِ انت فقال اني اشتريهِ بتسعة سنتات فقال اتشتريهِ بهذا الثمن مهما كان مقدارهُ فقال نعم . وكان معهُ ذريهمات جمعها بالتقتير ممَّا تعطيهِ اياهُ امهُ فعاد الى السوق وانتظر الى ان عرض الدلاَّل الصابون فدفع في الرطل ستة سنتات ولما سمع الحضور صوتهُ دُهِشوا والتفتوا ليروا مَن هذا الولد الذي يناظر كبار التجار . فرسا مزاد الصندوق الاول عليهِ وكذلك الصندوق الثاني والثالث الى خمسة عشر صندوقًا ثم خفض السعر قليلاً وجعلهُ خمسة سنتات ونصفًا فرسا عليهِ مزاد خمسة صناديق اخرى. واسرع الى البدَّال واخبرهُ انهُ احضر لهُ عشرين صندوقًا من الصابون بالسعر الذي قطعهُ معهُ وهو تسعة سنتات الرطل فدهش البدال من ذلك كما دُهِش التجار ودفع اليهِ الثمن فمضى ودفع ثمن الصابون وعاد الى بيتهِ وقد ربح مبلغًا طائلاً

واتمَّ دروسهُ في المدرسة مثل كل ابناء الاميركيين ودخل مخزن تاجر من تجار الدقيق والحنطة كاتبًا بغير اجرة فارضى التاجر باجتهادهِ فاعطاهُ في آخر السنة عشرة جنيهات هبةً وتعلَّم وهو هناك طرق البيع والشراء لكن نفسهُ كانت تسمو بهِ الى اعلى من ذلك فخرج من عند التاجر وفتح محلاً للسمسرة وعمرهُ احدى وعشرون سنة . وكان غاية في الاجتهاد والانتباه ولين العريكة فلم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار كثيرون من الاغنياء من زبائنهِ فجمع شيئًا من الثروة وصار يُعدُّ من " البنكيارية "

وكانت الحرب الاهليَّة ناشبة في اميركا واسعار الاوراق الماليَّة وكل السلَع التجاريَّة تعلو وتهبط بسرعة البرق لغير سبب ظاهر والمضاربات على اشدها فيغتني المرء اليوم وينفقر غدًا ولا

يثبت على الاشغال الاَّ المتبصّر الذي لا يبطر اذا نجح ولا يقنط اذا فشل. ورأى ان اوراق الحكومة اسلم عاقبةً من غيرها فقصر شغله عليها فربح من ذلك ربحًا وافرًا. ورأى الذين يعاملونهُ فرط ذكائهِ وحذرهِ فاعتمد عليهِ التجّار والمشتغلون بالاوراق المالية ومدُّوهُ بمبالغ طائلة من المال فزادت ارباحهُ كثيرًا واستمرَّ سائرًا في سبل النجاح الى ان احترقت مدينة شيكاغو فخسر بذلك خسارة كبيرة ذهبت بثروتهِ كلها وباموال كثيرة تمَّا استمدَّهُ من غيرهِ فرأى ان لا بدَّ لهُ من اعلان افلاسهِ رسميًّا

وعاد بعد هذه الخسارة اشدَّ حذرًا تمَّا كان اولاً الى ان تبيَّن ان محلاً من المحلات التجارية الكبيرة على شفا الافلاس وان افلاسهُ سيحط ثمن الاسهم كثيرًا فباع مقدارًا وافرًا "على المكشوف" منها قبلما اشتهر افلاس هذا المحل وربح بذلك ربحًا كبيرًا فاشترك في سكة فيلادلفيا الحديديَّة وانتقل من الاشتغال بالمضاربات الى الاشتغال بالشركات وادارتها وكانت قيمة السهم من اسهم هذه الشركة ثلاثة جنيهات حينما تولَّى ادارتها فبلغت بحسن ادارتهِ عشرين جنيهًا ولما رأى ذلك قصر اشتغالهُ على فرع واحد وهو فرع التراموای وكان ينزل الى مكتبهِ قبل الساعة السادسة صباحًا ولا يخرج منهُ الاَّ وقد مضى جانب كبير من الليل واستمرَّ على ذلك الى ان نشر سكك التراموای في فيلادلفيا وجمع ثروةً وافرةً

ولما رأى ان المجال ضاق عليهِ في فلادلفيا قصد مدينة شيكاغو وانشأ بنكًا فيها واقام خمس سنوات يرتب احوال سككها الى ان تيسَّر لهُ تأليف شركة لانشاء سكك الترام فيها فالَّفها وادارها بمهارة فائقة وهمَّة لا تعرف الملل ووسَّع نطاقها حتى صارت تمتلك خمس مئة ميل من سكك الترام ثم زادها اتساعًا وانشأ سككًا كثيرة تتصل بالمدينة وسهَّل الانتقال على سكانها فربح اموالاً طائلة وصار من اصحاب الملايين الكثيرة

قلنا انهُ خسر خسارة فاحشة وقتما احترقت شيكاغو ذهبت بها امواله واموال كثيرين من مدائنيهِ فلما اثرى عاد الى فيلادلفيا ودعا اولئك المدائنين الى وليمة فاخرة اعدها لهم وبعد الطعام قدَّم الى كل واحد منهم تحويلاً على البنك بالمال الذي كان لهُ عندهُ مع فائدتهِ القانونية المركبة من حين افلاسهِ الى ذلك اليوم فاوفى كل ما كان عليهِ ورباهُ مع أن قوانين التجارة لا تضطرهُ الى شيء من ذلك فذاعت شهرتهُ في الدنيا كلها ونال بذلك من حسن الاسم والسمعة ما لا يُنال بالمال

اما النظارة المنسوبة اليهِ فبلغت نفقاتها مئة الف جنيه وهي كاسرة قطر بلورتها اربعون عقدةً او اكثر من متر قليلاً وهي مؤلفة من بلورتين ثقلهما معًا اكثر من خمسة قناطير مصرية

وثقلهما مع الطوق الذي يحيط بهما نحو عشرة قناطير وبلغ ثمنهما ثلاثة عشر الف جنيه. وقد وصفنا هذه النظارة غير مرة والذي يعنينا من ذكرها الآن ان رجلاً جمع ثروتهُ بالشركات والمضاربات عرف كيف يكتسب حسن الاحدوثة بايفائهِ اموالاً خسرها في حداثتهِ لا باسراف ولا بخطإ بل بقضاء وقدر. وعرف ايضاً كيف ينفق على ما يفوق بهِ كل من تقدَّمهُ حتى الممالك الكبيرة لان نظارتهُ لا تزال الكبرى من نوعها حتى الآن

ناموس النشوء في تقدم العمران

(١)

العلم باصولهِ وفروعهِ يشبه صرحاً فخيم البنيان مشيَّدَ الاركان رفيعَ الطباق مديدَ الرواق وُضع اساسهُ منذ نشأة الانسان وسيزداد اتساعاً ويعلو شأناً مع تقدم العمران. ولكلٍّ من الوف الخلق الذين اشتركوا في اقامة بنائهِ وتوسيع رحابهِ واعلاء قبابهِ فضلٌ يذكر على قدر الذكاء في الوضع والهمَّة في العمل والأثر في النفع شأن المهندسين والفعلة والبنائين والمزينين على اختلاف العمل والشرف في الرتب والاقدار. والذين تحق لهم الميزة في الفضل والفخر بين مؤسسي العلم ورافعي جدرانهِ هم الذين خطَّطوا رسومهُ وحدَّدوا طبقاتهِ وفصَّلوا غرفهُ وقسموا ابوابهُ ولكن الشرف الاعلى والقدر الأعلى لاولئك الذين ادركوا القصدَ في مجموعهِ وعيَّنوا النِّسب والعلائق بين اقسامهِ واكتشفوا وحدة القياس والناموس في نظامهِ

فمهما يكن من هوى النفوس الزكيَّة في الاحاطة بمفردات الحقائق واستجلاء غوامضها من طريق البحث والاستقصاء. ومهما اشتدَّ اعجاب العقل بهم جمَّاع المعارف وخزنتها وضبَّاط شواردها ومقيِّدي اوابدها فان ارتياح الخواطر الى نظم فرائدها في قلادة العلم القانوني اشدُّ وردَّ شتات الفروع الى اصول قليلة اوقع في النفس واعلق في الذهن وابقى في خزانة المحفوظ

ولا جرم ان ناموس النشوء العام المحيط بما عُرف من شرائع الكون يتمشَّى على ارتقاء العلوم ونشئها تدرُّجاً من بسائط اصلية الى مركَّبات فرعيَّة فيتولَّد من امهات تلك العلوم انواعٌ وصنوف بارتقاء العمران كما تتولَّد القبائل من الاجداد وتنسل الاباء الاولاد. تتجلى هذه الحقيقة لكلِّ ذي بصيرة من طلبة هذا العصر على الخصوص بعد ان درس العلم المتسلسل فأيقن ان حلقاتهِ آخذة بعضها برقاب بعض يعزو كلُّ مولودٍ منها الى والدهِ ويحفظ لها جمعاء سلسلة الانساب